مذهب "الرمادية الأخلاقية"
من منظور إسلامي
دراسة تحليلية نقدية

إعداد الدكتورة

رحمة عبد القادر عبد الحميد دويدار

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات القاهرة – جامعة الأزهر

مذهب "الرمادية الأخلاقية" من منظور إسلامي دراسة تحليلية نقدية

رحمة عبد القادر عبد الحميد دويدار

قسم العقيدة والفلسفة، شعبة أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: rahmadwidar@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث لبيان موقف الإسلام من مذهب" الرمادية الأخلاقية" الذي تكلمت عنه الفيلسوفة آين راند في إطار حديثها عن الفلسفة والأخلاق الموضوعانية، وأثناء ذلك تكلمت عن مصطلح "الرمادية الأخلاقية" وعنت به قبول الواقع كما هو دون محاولة إصلاحه.

وكان أهم ما خَلُصَت إليه: كيف أن الإسلام رفض تماماً مذهب "الرمادية الأخلاقية"، ونبه على ضرورة أن يكون للإنسان موقف إيجابي تجاه ما يحدث حوله من قضايا أخلاقية، وهذا نابع من مسئولية الإنسان الخلقية، فمسئولية الإنسان تجاه المجتمع هي السعي لإصلاحه وبناء الوعي لدى أفراده، فليس المسلم مَنْ يهرب مِن مسئولية ليصل إلى "الخنوع الميتافزيقي" فيتوقف عن مساعدة الآخرين وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، ومن هنا كان واجباً على الإنسان ألا يتوانى في التصريح بالحكم الخلقي، فلا شيء يمكن أن يفسد ويهدم الإنسان والمجتمع أكثر من "اللأدرية الخلقية"، ولذلك كانت أفضلية هذه الأمة من دورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمحاربة مذهب الرمادية الأخلاقية، وهذا المذهب يختلف عن الحيادية والموضوعية والوسطية، كما تختلف الفلسفة الموضوعانية عن الفلسفة الموضوعية وهو ما سيظهر بالتفصيل في هذا البحث.

ومن هنا كان هذا البحث بعنوان "الرمادية الأخلاقية" من منظور إسلامي" واستخدمت في ذلك المنهج التحليلي النقدي.

الكلمات المفتاحية: الرمادية الأخلاقية، الخنوع الميتافزيقي، الفلسفة الموضوعانية، الأخلاق الموضوعانية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الفيلسوفة آين راند.

The Doctrine of “Moral Grayness” from an Islamic Perspective: An Analytical and Critical Study

Rahma Abdul Qader Abdul Hameed Dwidar.

Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: rahmadwidar@gmail.com

Abstract:

The research aims to explain Islam’s position on the doctrine of “moral grayness,” which the philosopher Ayn Rand spoke about in the context of her talk about objectivism and objectivist ethics. To her, the term “moral grayness” means the acceptance of reality as it is without attempting to improve it. The results of the study, which has made use of the critical analytical approach, include the following: Islam totally rejects the doctrine of “moral grayness”. Rather, it warns that a person must have a positive attitude towards the moral issues that happen around him. A person's responsibility towards society is to strive for its improvement and to build awareness among its members. A Muslim is not someone who escapes from responsibility in “metaphysical submissiveness.” Hence, it is incumbent upon a person not to hesitate in declaring moral judgments. Nothing can corrupt and destroy an individual and society more than “moral agnosticism.” Therefore, the superiority of this nation lies in its role of enjoining good and forbidding evil, which contradicts the doctrine of “moral grayness.” This doctrine differs from neutrality, objectivity, and moderation, just as

objectivist philosophy differs from objective philosophy, as is explained in detail in this research.

Keywords: moral grayness - metaphysical submission - objectivist philosophy - objectivist ethics - enjoining good and forbidding evil - Philosopher Ayn Rand

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وعليه نتوكل، والصلاة والسلام على مَنْ بُعِثَ رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ... يعتبر البحث في علم الأخلاق من الموضوعات المهمة في كل وقت وعصر، خاصة وأن البحث فيها لا ينفذ وموضوعاتها لا تنتهي، كل ذلك مع حاجة الأفراد والمجتمعات إليها يجعلها من الموضوعات المتجددة دائماً، والأمر يزداد مع ظهور مصطلحات جديدة، كمصطلح "الرمادية الأخلاقية " محل هذا البحث، حيث ظهر هذا المصطلح في كتابات الفيلسوفة والروائية الأمريكية آين راند، أثناء تقريرها لفلسفتها الموضوعانية، وما يتعلق بها من الأخلاق الموضوعانية. والحقيقة إن آراء آين راند الفلسفية غالباً ما كانت تضمنها في رواياتها الأدبية، مما جعل الوصول إلى فلسفتها من الصعوبةِ بمكانٍ، وهذا لا يقلل من قدرها ولا قيمتها الفكرية، خاصة وأن رواياتها كانت ذات مبيعات كبيرة جداً تخطت روايات شكسبير، مما يبين مدى انتشار أفكارها، ومن هنا كانت أهمية النظر في فلسفتها الموضوعانية بوجه عام ومصطلح "الرمادية الأخلاقية " بوجه خاص والبحث هل يتوافق هذا المصطلح مع وجه النظر الإسلامية أو أنه مخالف له ؟

ومن هنا استخدمت المنهج التحليلي النقدي، لتحليل آراء أين راند وفلسفتها الموضوعانية والأخلاق الموضوعانية التي دعت إليها، ثم نقد كل ذلك لبيان الجيد من الرديء عن طريق وضع كل ذلك في ميزان الإسلام، ولم أجد دراسة سابقة تكلمت عن الفيلسوفة آين راند أو الفلسفة الموضوعانية، أو حتى الأخلاق الرمادية ومن هنا انتهيت إلى جعل البحث مكون من أربعة مباحث:

الأول: المقصود بالأخلاق الموضوعانية .

الثاني: مذهب "الرمادية الأخلاقية" .

الثالث: مذهب "الرمادية الأخلاقية" في ميزان الإسلام .

الرابع: دور الإسلام في مواجهة مذهب "الرمادية الأخلاقية" .

ثم الخاتمة والتي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم ثبت المصادر والمراجع. .

المبحث الأول

المقصود الأخلاق الموضوعانية

تعتبر الفلسفة الموضوعانية، وما يتعلق بها من الأخلاق الموضوعانية هي أول فلسفة استُخدِمَ فيها مصطلح "الأخلاق الرمادية " موضوع البحث، ومن هنا كان لابد وقبل البحث عن المقصود منه، والحكم عليه من وجهة نظر الإسلام، أن ننظر في منشأ المصطلح، وواضعه، وفي أي إطار ظهر، وكيف استخدمه مَنْ وضعه .

وهل بالفعل لم يكن لهذا المصطلح وجود قبل صياغته بهذه الطريقة ؟ وكل هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا المبحث والمبحث التالي إن شاء الله ... الحقيقة يعتبر مصطلح "الرمادية الأخلاقية" من المصطلحات المستحدثة، وإن كان هذا المصطلح بمعناه موجود طوال الوقت في الفكر الإسلامي والفلسفي، ولكن أول من صاغته بهذا الشكل الفيلسوفة "آين راند"، وهي روائية وفيلسوفة ولدت في٢ فبراير ١٩٠٥م في روسيا، وانتقلت بعد ذلك للعيش في أمريكا واستقرت هناك إلى يوم وفاتها ٦مارس ١٩٨٢م، درست آين راند الأدب والفلسفة واهتمت اهتماماً خاصاً بهما، وبالرغم من ذلك فإنها اشتهرت في عالم الأدب والفن أكثر من شهرتها في عالم الفلسفة وتحولت الكثير من رواياتها الأدبية إلى أفلام ومسرحيات مشهورة كرواية "نحن أحياء" و رواية "منبع العيش" ورواية "الإضراب" ومسرحية "ليلة ١٦ يناير"، وبالرغم من أن كتابتها الفلسفية كثيرة، ولكنها من الصعوبة بمكان؛ لأنها كانت تُضمن أفكارها الفلسفية ضمن رواياتها الأدبية، فغالباً ما كان يجد القارئ العادي صعوبة في استخلاص فلسفتها منها[١].

(١) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م، ص ٤٠.

واختلف الناس تبعاً لذلك في آين راند هل تعتبر فيلسوفة أو كاتبة؟ ولكنها ردت على ذلك صراحة في كتابها " من أجل مفكر جديد" وقالت إن الجواب هو إنها الإثنين معاً، فكل " روائي فيلسوف بالضرورة، إذ أنه من المستحيل على المرء أن يقدم صورة عن الوجود البشري دون وجود إطار فلسفي يركن إليه... فقبل أن أحدد وأوضح وأقدم مفهومي عن الإنسان، كان عليَّ أن أبلغ لقب "الفيلسوفة" بكل ما تحمله الكلمة من معنى" (١).

درَّست آين في العديد من الجامعات الأمريكية، كجامعة يال، برينستون، كولومبيا، هارفارد، جوناس هوبكنز، حيث وضعت أفكارها الفلسفية والسياسية والأخلاقية.

وفي عام ١٩٦٣م حصلت آين راند على الدكتوراه، وعام ١٩٦٤م نشرت بحثها الذي يلخص فلسفتها الموضوعانية، أما عن الأخلاق الموضوعانية فقد تكلمت عنها بالتفصيل في بحثها بعنوان "فضيلة الأنانية" ووضعت فكرة " الأخلاق الفردية" حيث تلخص هذه العبارة مذهبها الأخلاقي، الذي جعلت فيه الإنسان غاية في ذاته، وجلعت المصلحة الفردية هي الأساس الذي ينطلق منه العمل الإنساني(٢).

وقد اهتمت آين راند بالفلسفة وقيمتها ودورها في الحياة، وقالت إن الحضارات وخاصة الحضارة الغربية قد أفلست بسبب فشل الفلاسفة عندما عقَّدوا الفلسفة، فالفلسفة لا يجب أن تعيش في البرج العالي، وإنما مكانها على الأرض، تعيش مع الأفراد، وتنبههم إلى مصلحتهم الفردية من أجل ذاتهم، ومن

(١) آين راند، من أجل مفكر جديد، ترجمة سمية حبتور، صفحة سبعة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط١، ص ١٠ .

(٢) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، ص ٤٠ .

هنا رأت كم كان الناس بحاجة إلى منظومة أخلاقية؛ لأن العالم لا يمحنهم الأجوبة المباشرة على أسئلتهم بعكس الفلاسفة الذين وضعوا فلسفات أخلاقية تهتم بالمجتمع ككل وتركت الإنسان الفرد، فهؤلاء الفلاسفة – وتعنى كانط – دمروا النزعة الفردية التي هي القوام وأساس الحياة وجعلتهم أكثر أشخاص سيئين في تاريخ الفلسفة [١] فنظام كانط الأخلاقي ملائم لنوع من المغيبين الذين يسكنون هذا العالم، عالم يقوم على الإيثار الكلي البائس، لأنه يرى أن الفعل لا يكون أخلاقياً إلا إذا كان يؤديه بدافع الواجب، دون أن ينتفع منه بأي شكل من الأشكال لا مادياً ولا روحياً، لأن السعي وراء المنفعة يهدم القيمة الأخلاقية للفعل[٢].

ومن هنا أختارات آين راند أن تطلق على فلسفتها التي تهتم بالإنسان كفرد بغض النظر عن المجموع اسم "الموضوعانية–Objectivism"[٣].

والحقيقة إنه بالرغم من أن فلسفة آين راند تعتبر أفكاراً غريبة مقابل الفلسفة الإيثارية المشهورة، إلا أنه كانت لأفكارها شهرة كبيرة وواسعة، لدرجة أن مبيعات رواياتها وصلت لنفس مرتبة وليم شكسبير الأمر الذي يبين مدى انتشار أفكارها وتوسعها في المجتمعات، فوجود اسمها إلى جانب شكسبير له دلالاته الكبيرة على تقبل وانتشار أفكارها[٤] التي حاولت فيها إثبات أهمية الإنسان كفرد

(١) رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، ص ٤٢.

(٢) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٥٣.

(٣) من أجل مفكر جديد، آين راند، ص ١٢.

(4)https://www.ajnet.me/midan/intellect/philosophy/2018/7/4/%D8%A2%D9%8A%D9%86-%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%AF-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%AE%D8%AF%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B1

دون إهمال علاقته ودوره في المجتمع، ومن هنا نادت ودعت إلى ما سمته (الحقوق الفردية) ذلك المفهوم الذي يقدم انتقالاً منطقياً من تصرفات المرء إلى المبادئ التي توجه علاقته بالآخرين، وهو كما ترى مفهوم يحافظ على الأخلاقيات الفردية ويحميها في سياق اجتماعي، وكل ذلك في مقابل المنظومات الأخلاقية التي سيطرت على البشرية واعتمدت تلك الفلسفات على قاعدة الإيثارية، فأخضعت الفرد إلى سُلطة عُليا، وهذه الفلسفات كانت تُلقن الإنسان أن "واجب الإخلاص والتضحية بالنفس للمجتمع هو الهدف الاسمى للأخلاق خلال وجود الإنسان في هذه الدنيا" فكل الأنظمة على مر الوقت كان هدفها (الإيثارية الجماعية) بمعنى أولوية مصلحة المجتمع على الإنسان كفرد.

فالإنسان كان بمثابة التضحية التي يمكن بها إنقاذ الآخرين، والمجتمع هو الغاية بحد ذاته، فالفرد مِلكاً للمجتمع، وبالتالي يتصرف فيه كيف يشاء، وأي حرية يتمتع بها المرء هي من المجتمع ويسمح بها حين يشاء ويبطلها حين يشاء.

ورأت آين راند أن المجتمعات عانت كثيراً من (الإثارية) التي تتضارب مع الحقوق الفردية، فكيف يمكن الجمع بين السعادة وبين الحالة المعنوية للإنسان المُضحي؟! خاصة وأن المجتمع ليس سوى عدد من الأفراد يحق لهم ممارسة أي نزوات أو فظائع يريدون تحقيقها لمصالحهم الشخصية، في الوقت الذي يكون فيه البعض الآخر ملتزم بقضاء حياته في خدمة رغبات تلك الجماعة [١].

والحل عندها كان إقامة المجتمع الذي يطبق (الحقوق الفردية)، فهذا المجتمع يجعل الإنسان غاية بحد ذاته، ويكون المجتمع هو وسيلة لتحقيق تعايش الأفراد بشكل مسالم ومنظم وطوعي، وحياة المرء مِلكاً له كحق من حقوقه، وبالتالي لا

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ١٨ .

حق للمجتمع في أي شيء[١]، وفي هذا المجتمع لن يكون الإنسان الفرد ضحية من أجل سعادة ومصلحة الآخرين، ولكن بحصول الجميع على حقوقهم الفرية يحصل الرضا والسعادة للجميع.

وقالت آين راند إن مفهوم (الحقوق الفردية) حديث جداً في مسيرة التاريخ البشري، والحقيقة إن هذه الحقوق ليست مصدرها القوانين الوضعية أو القوانين التي جاءت من السماء، ولكنها موجودة في الفطرة، فهي تعتمد على قانون الهُوية (حيث أ=أ) فالإنسان هو الإنسان دائماً، وحقوقه شرط تقتضيه طبيعته البشرية لتحقيق وجودة بشكل مناسب .

وانتهاك حقوقه الفردية يعتبر إجبار له على التصرف بما يخالف حقيقته وقيمه العليا[٢]، ومن هنا فالواجب على الإنسان أن يتخذ الإجراءات التي يراها ضرورية لتحقيق سعادته الفردية [٣]، فمصلحة الإنسان الشخصية هي أساس كل شيء، فككل إنسان يمتلك قيمته الذاتية، ومكتفٍ بذاته، ويجب عليه أن يتخلص من قيم الغيرية، لأن من واجباته تجاه نفسه العمل لمصلحته الذاتية الفردية، فالإنسان يوجد لذاته ولا يوجد لغيره، وهذا هو أساس فلسفة آين راند الأخلاقية وكل شيء في العالم [٤] .

أما عن أصحاب النظريات الإيثارية فهم- كما ترى آين راند- هم السبب في انهيار العالم المتحضر، والفلسفة الوحيدة التي يمكن أن تحدد أهداف الأفراد

---

(١) آين راند، الرأسمالية المثل الأعلى المجهول، ترجمة المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ومؤسسة أطلس للأبحاث الاقتصادية، بدون تاريخ ولا طبعة، ص ٤ وما بعدها.

(٢) آين راند، الرأسمالية المثل الأعلى المجهول ص ٦ وما بعدها.

(٣) آين راند، الرأسمالية، المثل الأعلى المجهول، ص ٩.

(٤) رشيد العلوي ،الفلسفة بصيغة المؤنث، ص ٤١.

ومساراتهم في الحياة هي الفلسفة التي يمكن أن تنقذهم أي الفلسفة الموضوعانية، وإذا أريد للحضارة أن تبقى فإن الأخلاق الإيثارية هي ما يجب على البشر رفضه ومحاربته (١).

ومن رحم الفلسفة الموضوعانية نشأت تبعاً لها الأخلاق الموضوعانية ... – و**الأخلاق الموضوعانية** فهي نوع فلسفة أخلاقية ترى أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في الحياة بدون منظومة مبادئ أخلاقية عقلانية، مبرهنة موضوعياً وقادرة على تحديد مصلحة الإنسان الفردية الذاتية (٢)، وهذه المنظومة الأخلاقية وظيفتها توجيه خيارات الإنسان وأفعاله وأهدافه في الحياة نحو مصلحته الشخصية.

فهي إذن نفس فكرة الفلسفة الموضوعانية، أعني أن الفاعل يجب أن يكون دائماً هو المستفيد الأول والأخير من أفعاله، فأي فعل خلقي يصدر منه هو فقط من أجل مصلحته الشخصية، فهذه هي وظيفة القيم الأخلاقية في حياة الإنسان كما ترى آين راند (٣) ولا يعني هذا بحال من الأحوال قيام الإنسان بما يرضيه مطلقاً، فلا تعطي فلسفة آين راند الأخلاقية للإنسان الحرية بالقيام بأي صورة أنانية وحشية تجاه الغير، أو تجعل للإنسان الحق في أن تحركه مشاعره أو رغباته أو نزواته غير العقلانية (٤) التي قد تؤذي الآخرين بل يجب أن يراعي الإنسان في الوقت نفسه أن يراعي مصلحة المجموع بما لا يؤثر على حقوق.

تعقيب: وهذا هو الفرق الجوهري بين الفلسفة الموضوعانية والفلسفة البرجماتية النفعية، فالموضوعانية اهتمت بالفرد والمجتمع بخلاف البرجماتية التي لا تهتم إلا فقط بالإنسان الفرد.

---

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٥٢ وما بعدها .

(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ١٣ .

(٣) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ١٢ .

(٤) آين راند، فضيلة الأنانية ص ١٣ .

ومن المنطقي جداً أن ترفض آين راند مصطلحات "الخير" و " الشر" وترى إنهما اختراع بشرى اعتباطي [١] فهما نسبيان يختلفان حسب مصلحة كل فرد، ومعيار الأخلاق الموضوعانية التي يقرر المرء من خلاله ما هو الخير والشر بالنسبة له، هو حياته الشخصية ومصلحته الذاتية فقط، أو ما هو المطلوب من أجل بقائه على قيد الحياة، ومن هنا يكون كل ما هو مناسب لحياة الإنسان الكائن العقلاني يكون هو الخير، والذي ينفي ويعارض حياته العقلانية هو الشر، والأساس لبقاء الإنسان هو التفكير والعمل المنتج [٢].

فالعمل المنتج هو العلمية التي يحافظ بها عقل الإنسان على حياته، وهو يستدعي أفضل الصفات القدرات الإبداعية وطموحه وتأكيد ذاتيته، ويستدعي كذلك الكبرياء وهو الاعتراف بحقيقة أن المرء عليه أن ينتج القيم المادية التي يحتاجها للحفاظ على حياته، فيتعامل الإنسان مع نفسه باعتباره الشخص الأعلى قيمة في الحياة، وبالتالي عليه أن يحقق لنفسه الكمال الأخلاقي فلا يقبل أي شيء لا يتفق مع قيمه العقلانية، ولا يسلم نفسه لأي شيء لا يستحقه أو يضع نفسه في قلق أو خوف مما يؤدي إلى عدم احترامه لذاته، فعليه إذن أن يرفض دور القربان، ويرفض أي عقيدة تدعوه للتضحية بنفسه باعتبار أن ذلك فضيلة أو واجباً أخلاقياً، فأي مذهب أخلاقي يصور للإنسان إنه سيكون كائن أسمى بالتضحية ونكران الذات هو مذهب مرفوض [٣].

وليس هناك من سبيل يجعل الإنسان يقبل دور الضحية دون هدم تقديره لذاته، ولن يهدم الإنسان ذاته إلا بعدما ينكر وعيه، ولن يحدث هذا إلا عن طريق اقتناعه بعجز هذا الوعي [٤].

---

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ١٦.

(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٢٩ وما بعدها.

(٣) آين راند، فضيل الأنانية ص ٣٦ وما بعدها.

(٤) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٢٨ .

المصلحة الذاتية للإنسان إذن لا يمكن المحافظة عليها إلا عن طريق علاقة لا يضحي فيها من أجل الآخرين، لأن الخير الإنساني لا يتطلب أي تضحيات بشرية .

وتبعاً لذلك رفضت آين راند كل الفلسفات والنظريات الأخلاقية التي دعت إلى "الإيثارية" ورأت أنها أخلاق الموت، لأنها جعلت من الإنسان قرباناً للآخرين، وليس له الحق في الوجود من أجل ذاته، فخدمة الآخرين هي المبرر الوحيد لوجوده في هذه الحياة، فالموت هو الهدف النهائي لهذه النظريات الأخلاقية الفاسدة كما ترى، ومن المنطقي أن يكون من أهم مبادئهم التنازل والانقياد وإنكار الذات وكل أشكال المعاناة، فهذه المدارس الأخلاقية معادية للحياة كما ترى آين راند، وكأن معيار القيمة الأخلاقية عندهم أُحيل إلى ما بعد الموت من خلال قوانين بُعد آخر خارق للطبيعة، وعلى الإنسان الذي يمارس الأخلاق الإيثارية أن يتحمل المسئولية ويعاني أثناء وجوده في الأرض! فهذه النظريات ليست نظريات أخلاقية وإنما هي نفي للأخلاق ونفي لوجود الإنسان بل هى لعن للحياة وتقديس للموت [١].

ومن هنا يتضح كيف ظهر مصطلح (الأنانية) في فلسفة آين راند، فهو لا يعني أكثر من اهتمام الفرد بمصالحه الفردية[٢]، فكان بحق الوصف الدقيق النقي لفلسفتها وأخلاقها الموضوعانية، وما ترتب عليه من رفض كل ما هو قد يؤذي الإنسان أو يقلل من قيمته وأهميته في الحياة أو يهدر حقه، فهو مدار الكون والأساس لكل شيء، بل إن كل شيء في الوجود يجب أن يسعي لمصلحة الإنسان الفردية الشخصية .

---

(١) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٢٨ وما بعدها، آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) آين راند، فضيلة الأنانية ص ١٤ .

وكان من ضمن المصطلحات التي استخدمتها آين راند في فلسفتها وأخلاقها الموضوعانية، مصطلح " الرمادية الأخلاقية" فما المقصود به، وهل كان لو وجود قبل ذلك ؟ هو ما سأحاول البحث عنه في المبحث التالي...

المبحث الثاني

مذهب "الرمادية الأخلاقية"

الحقيقة إن فلسفة الأخلاق لها مكاناً مرموقاً في البحوث والدراسات، حيث إنها تقوم على دراسة الظواهر السلوكية، وتحديد الطريق الذي ينبغي أن يتخذه الإنسان منهجاً حتى يكون شخصية سوية نافعاً لنفسه وللمجتمع، لأن إصلاح الأمم والجماعات يبدأ من إصلاح الأفراد، وهو ما يقوم به علم الأخلاق(١). وعند البحث في فلسفة الأخلاق أو الفلسفة الموضوعانية عند آين راند ظهر مصطلح " **الأخلاق الرمادية**" وكانت تعني به عدم الحكم على العالم أو على الأشخاص أو أن يكلف الإنسان نفسه لإصلاح الكون أو تغيره.

ولا يعني ذلك أبداً التعصب لفكرة معينة أو شخص معين، أو شعارات نحفظها، لأن التسامح العشوائي، أو الإدانة العشوائية ليسا إلا نوعان مختلفين من التهرب، كعدم التصريح بأن الجميع أبيض أو الجميع أسود، أو الجميع ليسوا إلا رماديون، فهذا ليس حكماً خلقياً بل هو هروب من مسئولية الحكم الخلقي، وهو أكبر علامات الإفلاس الخلقي(٢)، فالجميع متفقون على أن الحضارة البشرية تواجه أزمة، ولكن الرماديين رفضوا البحث فيها وتحديد طبيعتها، للوقوف على أسبابها ومن ثم محاولة إيجاد حلول لها، وهذا هو دور الأخلاق من وجهة نظر آين راند، لكن الثقافة السليمة أخلاقياً تظهر في هذه الأوقات التي يكتنفها الخطر، فتقوم على حشد قيامها واعتزازها بنفسها وروحها القيادية للقتال من أجل مثلها الأخلاقية العليا (٣).

---

(١) محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط١ ١٩٨٢.
(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٥، ص ٩١ .
(٣) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ١٦.

وإن كانت آين راند أول من صاغ هذه الفكرة بمصطلح "الرمادية الأخلاقية" إلا إننا نجد مثلا دانتي في "الكوميديا الإلهية" يقول " إن أحلك الأماكن في الجحيم هي لأولئك الذين يحافظون على حيادهم في الأزمات الأخلاقية " و المقولة الشهرية تقول " الساكت عن الحق شيطان أخرس" كل هذه المقولات وغيرها تتكلم عن فكرة الرمادية الأخلاقية، ففكرة التوقف عن إصدار الأحكام الخلقية موجودة إذن، ولكنها لم تكن مصاغة بهذا المصطلح .

وعند عرض آين راند لفلسفتها الأخلاقية، وحديثها عن الرمادية الأخلاقية، أكدت على رفضها القبول بحل وسط بين الخير والشر، لأن القبول بحل وسط هو السكون والاستسلام والعبودية، فليس هناك حل وسط بين الحياة والموت والاستسلام للأخطاء التي تحدث حولنا في المجتمع، لأن السكوت عليها يعني الخيانة للمبادئ والمعتقدات(١) واستسلام وسلبية.

فاتخاذه مبدأ "الرمادية الأخلاقية" في الحقيقة انتهاك لقناعات الشخص، وقبوله للشر، ورياء وخيانة لأفكاره ومبادئه التي يدعي أنه مؤمن بها، فالرمادية الأخلاقية هي موقف اللاموقف !

ومن هنا فلا يمكن أبدا القبول والتسليم أو التسوية فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية، فإن أي تسوية بين الخير والشر، بين الصالح والفاسد، هو الموت، ويكون الفساد والشر هو المستفيد الوحيد، وتدمير تلقائي للنفس والمجتمع (٢)، وهو ليس نوعاً من الحياد، لأن الحياد يكون بين أمرين متساويين، لكن الحياد بين الحق والباطل ليس حياداً، وإنما هو انتصار لجانب الشر على الخير، فلا وسط بين الأبيض والأسود والحلال والحرام، والصواب والخطأ، فإذا علم

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٧٩، وما بعدها.
(٢) آين راند، أطلس متململاً، نقلا عن فضيلة الأنانية، ص ٨٢.

الإنسان ما هو الأبيض وما هو الأسود كيف يوافق ويجد مبرر للخلط بينهما(١)، فهناك أمور وخيارات مصيرية في الحياة لا يُجدي معها مذهب الرمادية الأخلاقية.

فعدم مجابهة ورفض هذا الشر صراحةً، والخوف من إصدار حكم خلقي عليه، هو تأييد الشر ومساعدة في نشره (٢)، لأن إغماض المرء عينه وإلغاء عقله وتهربه من الحقائق لكي لا يعلم، لا يمكن أن نطلق عليه رمادياً بل هو أسود لأنه يريد الإفلات من مسئولية الحكم الخلقي(٣).

فمن الممكن إذن أن يوجد أشخاص رماديين تصدر عنهم أفعال مختلطة بين الخير والشر، فهو يفعل الشر ويعلم إنه شر، ولكن لن يظل رمادياً لفترة طويلة، فما هي إلا مقدمة ليصبح أسوداً.

فقد يوجد أشخاص رماديين، ولكن لا يمكن أن توجد مبادئ خلقية رمادية فالأخلاق هي القانون أبيض أو أسود، وعند محاولة الوصول إلى حل وسط فمن الواضح مَنْ الذي سيخسر بالضرورة ومَنْ المستفيد (٤)!

ومن هنا رأت آين راند أن **مهمة إصدار الحكم الخلقي** ليست مهمة سهلة، بل هي مهمة تتطلب أكثر ما يمكن من الدقة والعقلانية، لأن فهم المبادئ الخلقية أمراً سهلاً، لكن تطبيقها على الجانب الخلقي لشخص معين، والحكم عليه سواء مدحاً أو ذماً أمراً صعباً، والمواقف التي يسكت فيها الإنسان عن الحكم الخلقي تؤول تلقائياً كأنها موافقة على الشر(٥)، وهنا يظهر دور الأخلاق، فهي منظومة

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩١ .
(٢) آين راند، فضيلة الأنانية ص ٨٦ .
(٣) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩٢.
(٤) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩٩ وما بعدها .
(٥) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٥ .

الهدف منها توجيه خيارات المرء وأفعاله نحو الخير والحق والصواب [١]. **ويدخل في "الرمادية الأخلاقية"** بالإضافة إلى هروب من الحكم الخلقي، إصدار الأحكام الموضوعية، كالادعاء بأن الكاذب لم يكن يقصد إلا الخير، أو أن الطفل عديم الأخلاق ما ينقصه فقط هو الحب والاهتمام، وأن المجرم لم يجد مَنْ يعلمه الصواب[٢]، فمذهب الرمادية الأخلاقية هو صياغة مبتذلة- كما ترى آين راند- لمقولة "أنه لا يوجد في العالم أحد مثالي"، أو أن "جميعنا فينا الخير والشر"، وتكرار هذه الاعتبارات إلى أن تصبح من البديهيات، متناسين أن الأخلاق تتعامل فقط مع الأفعال التي تصدر عن إرادة حرة [٣].

والحقيقة إن هناك فرق بين أن يوجد في الإنسان قيم مختلطة بين الأبيض والأسود، وبين إيمانه واعتناقه مذهب الرمادية الأخلاقية، فيجب أن يكون لكل إنسان معياراً يحكم من خلاله على القضايا الخلقية [٤]، ومثلما الحال في نظرية المعرفة فإن عدم اليقين هي ثورة ضد العقل، وهكذا في الأخلاق، فإن عقيدة الرمادية الخلقية هي ثورة ضد القيم الخلقية [٥].

ولذلك **رفضت** آين راند هذا المذهب تماماً لأنه نوع من "الخنوع الميتافزيقي" الذي يعتبر من الناحية النفسية مقدمة لأن يكون الإنسان كائن طفيلي يعيش في المجتمع لا قيمة له .

وهؤلاء الطفيليون كما ترى آين راند الممثلين لمدرسة الخنوع الميتافزيقي، يعتبرون أبداء رأيهم في أي عمل أخلاقي يحدث حولهم تهديد لمصلحتهم

(١) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٢٨ .
(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٧ .
(٣) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩٣ .
(٤) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩٤
(٥) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٩٥ وما بعدها .

الشخصية، لأنهم يرون أنفسهم عاجزين عن تقديم أي شيء يفيد المجتمع، فيحتفظون بحكمهم ورأيهم لأنفسهم خوفاً مما قد يحدث لهم(١)، فهم متقبلون كل شيء كما هو، لا يريدون الحكم على شيء، ويسعون فقط لإصلاح أخلاقهم أو حتى تركها كما هي، مستعدين إلقاء أنفسهم تحت رحمة غيرهم، دون حتى محاولة النهوض والدفاع عن أنفسهم(٢)، ومن الطبيعي أن لا يتوقع من وراء كل تلك السلبية أي رد فعل إيجابي على الفرد أو المجتمع .

بل إن اعتناق مذهب الرمادية الأخلاقية أمر يستدعي عندهم مع الوقت تعاطفاً تدريجاً مع الرذيلة، وعداءً تدريجياً للفضيلة، لأن الشخص الذي لا يسعى للإقرار بأن الشر شر سيجد شيئاً فشيئاً أنه من الصعوبة الاعتراف بأن الخير هو الخير، وسيصبح الشخص الذي يتمتع بالفضيلة تهديداً له ويمكن أن يطيح بكل محاولاته للتملص من الحكم الخلقي، (خاصة عندما يتعلق الأمر بقضية عادلة يجب ألا يقف فيها الإنسان على الحياد، ومن ثم فإن صيغاً مثل " لا يوجد أحد محق تماماً أو مخطئ تماماً" و " مَنْ أنا حتى أصدر حكماً " تُحدث تأثيراً فتاكاً في المجتمع، فالرجل الذي يبدأ بالقول (هناك بعض الخير في أسوأ البشر) سيقول (هناك بعض السوء في أفضل البشر) ثم (يجب أن يكون هناك بعض السوء في أفضلنا) ثم (إن أفضل الناس هم من يجعلون الحياة صعبة – لماذا لا يصمتون؟ من هم حتى يحكموا على الآخرين ؟) ... ومن ثَمْ يجد الإنسان نفسه في مرحلة معينة من عمره أنه وقف في المنطقة الرمادية، وقد خان كل المبادئ التي آمن بها في البداية، ويتساءل كيف حدث هذا... فيجد نفسه أنه كان سبباً ومبرراً لعدم وجود أي خير في العالم، وسبباً في فساد المجتمع (٣) بل إنه في

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٦٨ وما بعدها .
(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٦٨.
(٣) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٨.

مرحلة متقدمة يجد في نفسه تلقائياً كراهية وحقد على مَنْ يملك الشجاعة ووقف معلناً صراحة عن حكمه الخلقي، بل إنهم ينادون بأن الشر الوحيد هو الوقوف في وجه الشر [١].

ومن هنا وصلت آين راند إلى أنه لا يمكن أن تكون هناك تسوية وتسامح وتقبُّل للتعامل مع أخطاء الآخرين، فلا يمكن أن تكون تسوية بين اللص وصاحب الشيء المسروق، فلو حدثت تسوية بينهما فهي لا يمكن أن تسمى تسوية، وإنما استسلام واعتراف ضمني بحقه في الذي سرقه، فاللص لم يقدم أي شيء مقابل ما سرقه، وحالما يتم قبول مبدأ التنازل من أحد الأطراف كأساس للعلاقة بين الطرفين، فما هي إلا مسألة وقت حتى يستولى اللص على الباقي، ويصبح ذلك حق مكتسب له بسكوت صاحب الحق عن حقه وسلبيته في الدفاع عن نفسه، ووقوفه موقف الرمادي!

والحل عند آين راند بالنسبة لمعتنق مذهب " الرمادية الأخلاقية" هو ألا يتوانى في التصريح بالحكم الخلقي، ولا يتهرب من مسئوليته الأخلاقية، حتى وإن تملص منه بعض الناس، فإن هذا التملص هو السبب الرئيس في فساد المجتمعات، فلا شيء يمكن أن يهدم الإنسان والمجتمع أكثر من مبدأ " اللأدرية الأخلاقية"، وواضح مَنْ الذي يخسر ويربح في الامتناع عن امتداح الفضائل أو إدانة الرذائل عندما يعلن الإنسان موقفه المحايد من الأفعال الخلقية [٢].
ومن هنا كان **إصدار الحكم الخلقي مسئولية جسيمة،** فلكي يكون الإنسان حاكماً على غيره كما ترى آين راند يجب أن يمتلك شخصية لا يرقى إليها شك، ولا يعني ذلك أن يكون عالماً بكل شيء، ومعصوماً عن كل خطأ، بل الأمر يحتاج

(١) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٧٧ وما بعدها .
(٢) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٣ .

فقط إلى النزاهة، بمعنى ألا ينخرط في الأفعال السيئة بشكل واعٍ ومُتَعمَّد. وترى آين راند **أن الإنسان ليس له مطلق الحرية في إطلاق حكم** دون تحمل العواقب، لأن الأشياء التي يدينها أو يمدحها توجد في الواقع الموضوعي وتكون متاحة للتقييم المستقل من قبل الآخرين، فالإنسان عندما يمدح أو يذم فعل خلقي معين فإنه سيكشف عن صفاته ومعاييره الخلقية، كما إذا كان يندد بعمل عظيم ويمدح عمل ردئ فإنه يعترف بطبيعة روحه وأخلاقه وفكره(١). **وأخيراً بحثت آين راند عن ما قد يكون سبباً في أن يترك الإنسان الحكم الخلقي على الآخرين ويعتنق مذهب الرمادية الأخلاقية :**

(١) المصلحة الشخصية، فمصلحة الإنسان تعتمد على نوعية الأهداف التي يختارها ويسعى لتحقيقها، واختيار الأهداف مرتبط برغبات الإنسان، وهي بدورها مرتبطة بقيمه.

ورغبات الإنسان ليست معياراً للقيمة، ولا مقياساً لمصالح الإنسان، فكون الإنسان يرغب في شيء ما لا يشكل أي دليل على أن هدفه جيد، ومن هنا فقد يترك الإنسان الحكم على الأفعال الخلقية لأن مصلحته الشخصية تتطلب منه أن يظل في الجهة السلبية، وهو خطأ لأن قيم الإنسان لا يجب أن تتغير تبعاً لأهوائه ورغباته وأهدافه، بل تظل ثابتة لا تتغير حتى لو خالفت أهدافه (٢)

(٢) ومن الأسباب كذلك التي قد تجعل الإنسان يعتنق مذهب الرمادية الأخلاقية الخوف، فالخوف من أهم الأسباب التي قد تدعو الإنسان إلى ترك مسئوليته الخلقية تجاه المجتمع وترك الحكم عليه واعتناق الرمادية الأخلاقية، أعني الخوف من أن تتم محاكمته والحُكم عليه كما يحكم هو على الآخرين، ولكن

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٤ .

(٢) آين ران، فضيلة الأنانية، ص ٦٨ وما بعدها .

الحقيقة أن هذا ليس خوفاً بقدر ما هو تنصل من المسئولية الخلقية، فهو كما تقول آين راند " صك خلقي غير مشروط يعطيه المرء للآخرين، وهو نفسه ما ينتظره منهم " فهو لا يحكم على أحد ولا يطلب من أحد يحكم عليه، كأنه تصريح للجميع بأن يفعل كل إنسان ما يحلو له، فلن يحاكمه أحد، وهو نفسه يتوقع من الجميع أن يعاملوه بنفس الطريقة [١] فالشعور بالذنب والخوف هما ما يفسدان وعي الإنسان وثقافة المجتمع [٢].

ومن هنا فيجب على الإنسان أن يتحلى بالمسئولية الخلقية، ويحدد خياراته في الحياة، وفي الوقت نفسه عليه أن يلتزم بالقيم الأخلاقية، ولا يكون هذا الالتزام بالفعل الخلقي لكي لا يعرض نفسه لأن يحكم عليه أحد، ولكن لأنه يعلم أن هناك خالق الكل يحاسبه على أفعاله الخلقية، ويعلم أنه لا يمكن أن يكون الحياد خلقي نافعاً للمجتمع، وأن بامتناعه عن إدانة أحد الجلادين ليس معناه إلا إنه مشاركاً له في تعذيب ضحاياه، فالمبدأ الخلقي الصحيح الذي يجب أن يتبينه الإنسان هو " أحكم ... وكن مُستعداً للحكم عليك "[٣]، ولذلك فإن مَنْ يمتنعون عن الحكم الخلقي خوفاً من أن يأتي اليوم فيسمعون الحقيقة، وأن يأتي عليهم الدور فيفحص مسلماتهم التي يؤمنون بها ويكشفون عن أصولهم القيمية هي محاولة مخيفة بالنسبة لهم للإصلاح والتغير[٤].

والمجتمع الذي يتهرب من مسئوليته الخلقية هو مجتمع الجبناء المشلولين الذين فقدوا المعايير والمبادئ والأهداف الخلقية [٥]، فالرمادية هي أسوأ ما يمكن

(١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٥ .
(٢) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ٧٥.
(٣) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٥ .
(٤) آين راند، من أجل مفكر جديد، ص ١٣ .
(٥) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ٨٩.

أن يكون فيه إنسان، لأنه شخص ملتزم بعدم رؤية أي اختلاف بين الخير والشر، وعدم النظر إلى أي مزايا أو عيوب، ويسعى دائما إلى التوصل إلى حل وسط مهما كانت النتيجة عليه وعلى المجتمع .

تعقيب: قد يُتَصور إن هناك تناقض بين فكر آين راند في المبحث الأول والمبحث الثاني، فكيف تهتم بمصلحة الفرد، وفي نفس الوقت تطلب منه أن لا يتصف بالرمادية الأخلاقية، بل أن يكون له دور فاعل في المجتمع، ولا يسكت عن التصريح بالحكم الخلقي .

والحقيقة إنه ليس هناك أي تناقض، فلا تناقض بين اهتمام الإنسان بمصلحته الفردية، وفي نفس الوقت يهتم بإصدار الحكم الخلقي ليصلح المجتمع، فيرشد الضال ويصلح المعوج، ويشجع من هو على الطريق المستقيم، وينصح من يحتاج إلى النصح، فهذا لا يضر مطلقاً مصالحه الشخصية الفردية، بل إن كل شخص بعدما يفعل ما هو حق وصواب لن يكون هناك ظلم في المجتمع، فلن يتضرر الإنسان ومصلحته الشخصية ولن يتضرر غيره.

فكل ما رفضته آين راند هو أن يضحي الإنسان بمصلحته وحقوقه الفردية من أجل مصلحة الآخرين، وهنا طالبته بأن يكون أناني صراحةً ويدافع عن حقه، بما يلا يضر بمصلحة الآخرين.

وهذا كان موقف آين راند صاحبة مصطلح "الرمادية الأخلاقية" من وجهة نظرها، وانتقل في المبحث التالي للحديث عن مذهب الرمادية الأخلاقية من منظور الإسلام ...

المبحث الثالث

مذهب " الرمادية الأخلاقية " في ميزان الإسلام

بعدما تبين في المبحث السابق المقصود بالرمادية الأخلاقية عند آين راند أول من صاغت الفكرة بهذا المصطلح، أنتقل الآن إلى الحديث عن المذهب من وجهة نظر الإسلام .

والحقيقة أن الأخلاق في الإسلام حظيت بعناية بالغة، فهي الأساس لبناء الشخصية المسلمة من أجل ذاتها ومن أجل المجتمع، والالتزام بها هو السياج الذي يحمي منجزات المجتمع الإسلامي التنموية والحضارية من الانهيار والتسيب والانحلال، فهي الضابط لكل جهد مبذول، لأنها تضبط إيقاعه وتحوله إلى فاعلية حقيقية يلحظ أثارها في حياة الإنسان قدماً نحو تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هنا كان الاشتغال بعلم الأخلاق في كل وقت ذا أهمية كبيرة.

وبما أن الإسلام ينقسم إلى عقيدة وشريعة وأخلاق، والأخلاق في الإسلام كأي مذهب خلقي لابد وأن يتكون من ثلاث أركان رئيسة، وهي الإلزام والمسئولية والجزاء .

والإلزام هو العنصر الأساس الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، وعدم وجود هذا العنصر، أو وجوده بصورة خاطئة يؤدي إلى فساد كل المذهب بعد ذلك، فإذا لم يكن إلزام فلن تكون مسئولية، وإذا عدمت المسئولية فستتفشى الفوضى ويفسد النظام [١] وضاع كل أمل في الإصلاح، وعم الاضطراب أرجاء المجتمع [٢] ولذلك كان لابد من الإلزام الذي هو السلطة التي تأمرنا بالخير

---

(١) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠ ١٩٩٨م، ص٢١.

(٢) السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص ٦٧ .

وتنهانا عن الشر، والتي في ضوئها يمكن الحكم على أفعالنا بأنها حسنة أو قبيحة.

والحقيقة إن النظريات الأخلاقية كثيرة، ومصادر الإلزام الخلقي فيها مختلفة منهم من قال المجتمع، أو الضمير الإنساني، أو القوانين الوضعية، أو المثل الأعلى أو الواجب، وغيرها الكثير، وليس هنا المجال للحديث عنها، فما يعنينا هنا هو مصدر الإلزام الخلقي الصحيح في الإسلام.

ومصدر الإلزام الخلقي في الإسلام هو الوحي الإلهي، الذي نعرف من خلاله الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، بخلاف من يرى أن الإلزام الخلقي نابع من داخل الإنسان سواء أكان عقله أو ضميره أو أيا كانت الحاسة الخلقية التي تجعله يفعل الخير ويتجنب الشر.

فالإنسان نعم بداخله حاسة أو سُلطه تساعده على معرفة الخير والشر، فقد قال تعالى { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا – فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [١] ولكن معرفته بالخير والشر لن يلزمه بفعله، ومن هنا كان لابد من مصدر لإلزام الإنسان بفعل هذا الخير وتجنب الشر كذلك، وهو الوحي الإلهي، المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وما يتفرع عنهما من أصول تشريعية أخرى كإجماع المسلمين، واستنباطات أئمة الفقه في الفروع [٢].

من هنا فيجب على كل مسلم الالتزام بالقانون الأخلاقي، فقد قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...} [٣] .

ويستتبع هذا الإلزام الخلقي، أو المرحلة الثانية من أي فعل خلقي، مرحلة المسئولية، لأن الالتزام بلا مسئولية لا معني له[٤].

---

(١) سورة الشمس ٧–٨ .

(٢) الإمام أحمد الطيب، المختار من مقومات الإسلام، ص ١٣٤ .

(٣) سورة الأنفال ٢٠.

(٤) إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الأخلاقي في الإسلام، مكتبة الملك فهد الوطنية–الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٢٨.

والمسئولية هي إقرار المرء باستعداده لتحمل نتائج ما يصدر عنه من أفعال[١] أو هو الأمر الذي يوقف الإنسان أمام نتائج أعماله الإرادية[٢] فلا يكفي الإقرار وحدة بل لابد من تحمل تبعات ما يصدر عنه من أفعال[٣]. ومن هنا يمكن استنتاج شرط المسئولية الخلقية، وهي الحرية والإرادة، فلا يمكن تصور تحمل إنسان مسئولية أفعال لا دخل له في فعلها، أو إنسان مسلوب الحرية والإرادة، وتنحصر مسئولية الإنسان في نطاق ما يدخل في وسعه ويستطيع عمله، وما هو خارج عن طاقة الإنسان واستطاعته فهو ليس مسئولاً عنه، ولن يكون محاسباً عليه[٤] فيجب إذن أن تكون عنده القدرة على الفعل والترك، والإنسان هو الكائن الوحيد من بين الكائنات الذي ينطبق عليه شروط المسئولية فقد رشحته فطرته لهذا العمل، وأصبح مسئولاً وموضعاً للأمانة وصاحب النفوذ والسلطان[٥] كما قال تعالى {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ}[٦]. فالحرية إذن هي أساس المسئولية الخلقية، وليس أدل على ذلك من أن الإسلام يسقط المسئولية الأخلاقية عن الإنسان الذي لا يتوافر فيه كمال العقل وتمام الحرية والإرادة .

وبالتالي إذا لم يكن لدى الإنسان العاقل القدرة على اكتساب الأفعال الخلقية لما كلفه الله تعالى بها، ولا حاسبه عليها، فكل إنسان حر لديه القدرة على

---

(١) عبدالرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١٩٧٦م، ص ٢٢٣

(٢) محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلق، ص ٢٢٦.

(٣) عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، ص ٢٢٤ .

(٤) عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، دار القلم، دمشق، ط٥ ١٩٩٩، ج١، ص ١٩١ .

(٥) محمد عبد الله دراز، دراسات إسلامية، ص ٥٤ .

(٦) سورة الأحزاب ٧٢ .

اكتساب قدر ما من الفضائل الخلقية، وفي حدود هذا المقدار تكون مسئوليته، وفي نفس تلك الحدود تكون محاسبته ومجازاته [١] ولو كان الإنسان محروماً من أدني استعداد فهو لا يتوجه إليه تكليف أصلاً [٢].

وهناك نوعان من المسئولية، مسئولية فردية، ومسئولية نحو الآخرين .

فالمسئولية الفردية هي مسئولية الفرد عن نفسه، وما يصدر عن جوارحه وعقله وقلبه وكل ما يصدر عنه من أفعال أخلاقية، فقد قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[٣]، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}[٤]، ويقول ﷺ «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ، فِيمَا أَبْلَاهُ**» [٥].

والنوع الثاني من المسئولية هي المسئولية نحو الآخرين، وهي مسئولية عامة تحددها ظروف كلاً منا، وموقعه في الحياة، ودوره في المجتمع الذي يعيش فيه [٦]، فقد قال تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} [٧] وهذا المعني هو نفسه المقصود من الحديث الشريف «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ

---

(١) عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، ج١ ص ١٩١ .
(٢) عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، ج١، ص ١٩٣.
(٣) سورة الإسراء ٣٦ .
(٤) سورة فصلت ٤٦ .
(٥) أخرجه الدارمي من حديث أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه رقم (٥٥٤)، والحديث صحيح .
(٦) محمد عبد الله دراز، دراسات إسلامية، ص ٥٩ .
(٧) سورة آل عمران ١٠٤.

مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١)، ومن هنا يتبين أنه بمجرد تحقق شرطا المسئولية لا يصبح الشخص فقط مسئولاً عن نفسه بل يصبح كذلك مسئولاً عن المجتمع، ويكون له دور في إصلاح وتقويم الخطأ، لأن المجتمع الإسلامي مجتمع متضامن ومتشارك في تحمل المسئولية للبناء والتعمير، فلا يجب أن يكتفي الإنسان بنفسه وبعمله الخلقي، بل يجب أن يساعد وينبه الآخرين إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والأخرة .

فلا يصبح إنساناً رمادياً تجاه القضايا الأخلاقية، بل يجب عليه أن يصوب الخطأ ويكون كالرقيب على المجتمع، يبحث عن القيم، ويدعو الناس إلى التمسك بها، فيكون له دور فعاَّل في إصلاح المجتمع حوله، خاصة وأن الأخلاق قابلة للتغير، فكل إنسان عنده الاستعداد الفطري لاكتساب الأخلاق الخيرة والشريرة وهو ما سماه علماء الأخلاق ب"الاستعداد المزدوج"، ولو لم يكن لدى الإنسان هذا الاستعداد لاكتساب الفعل الخلقي لكان من العبث اتخاذ أي محاولة لتقويم الأخلاق، وهو ما أكد عليه علماء الأخلاق من أن أي فضيلة خلقية باستطاعة الإنسان العاقل أن يكتسب منها بالتربية المقترنة بالإرادة والتصميم المقدار الذي يكفيه لتأدية الواجب الأخلاقي(٢) فلو لم يكن الخلق قابلاً للتغير لما كان هناك " مسوغاً لنزول الكتب السماوية، وإرسال الرسل، ولما كان هناك معنى للشرائع والقوانين، ودعوات المصلحين والمربيين، أما وقد أرسل الله الرسل للناس مبشرين ومنذرين وأنزل معهم هديه وشريعته إصلاحاً للنفوس وتهذيباً لطبائعها وسجاياها، فهذا مما يدحض القول باستحالة تغير الخلق واستجابته لدواعي الخير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، رقم (٢٤٠٩).

(٢) عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، ج ١ ص ١٩٣.

أو دواعي الشر" [١]، والنصوص كثيرة في القرآن الكريم للتأكيد على هذا المعنى { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [٢]، { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [٣]، { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَ} [٤].

ويتبين من كل ذلك أنه لا انفصال بين مسئولية الإنسان الفرد ومسئوليته تجاه المجتمع، لأن هاتين المسئوليتين هما أولى وسائل الإسلام لإصلاح الكون، فلم ولن يكون هناك قيام للأخلاق دون توازن بين خير الإنسان وخير الغير، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا خيِّراً في مجتمع كله شر[٥] .

ويظهر كذلك كيف رفض الإسلام مذهب "الرمادية الأخلاقية" أو السلبية فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية والوقوف في منتصف الطريق، فاكتفاء الإنسان بإصلاح نفسه دون محاولة مساعدة الآخرين، واحتفاظه بأحكامه وأفكاره لنفسه وإمساك العصاة من المنتصف، وتقبل كل شيء كما هو نوع من السلبية والميوعة غير المفهومة، وتهرب من المسئولية الخلقية، بل هو نوع من الموافقة الضمنية على ما يحدث من أفعال خلقية قبيحة، لأن الوقوف على الحياد في أوقات الفتن ومحاولة إرضاء جميع الأطراف يكون طعناً في ظهر الحق، وتأييداً مبطناً للباطل والشر والقبيح، ولا أدل على ذلك من موقف سيدنا بلال بن رباح، والإمام أحمد بن حنبل يوم المحنة.

فهناك الكثير من المواقف الأخلاقية تتطلب أن يكون للإنسان المسلم موقفاً حقيقياً، فلا مجال للحياد بين الخير والشر، أو الصواب والخطأ أو بين الحسن والقبيح، فهذه لا تسمى حيادية لأن الحياد يكون بين موقفين كلاهما حسن أو كلاهما قبيح، فالرمادية الأخلاقية ليست حيادية!

---

(١) الإمام أحمد الطيب، المختار من مقومات الإسلام، ص ١٣٤ .

(٢) سورة الإنسان ٣

(٣) سورة البلد ١٠

(٤) سورة الشمس ٧-٨.

(٥) عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٢٧٦.

والمقولة الشهيرة الساكت عن الحق شيطاناً أخرس معروفة للجميع .

فالشخصية الرمادية شخصية غير مأمونة الجانب، فقد فرطت في حق الله ومسئوليتها أمام الله وأمام المجتمع، وتناست قناعتها ومبادئها، وفضلت مصلحتها الشخصية عن المجاهرة بالحق، والوقوف في وجه الخطأ والظلم والقبيح، فالدين الإسلامي إذن لا بقبل الرمادية لأن" الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ "(١).

تعقيب: وقبل الانتقال للمبحث التالي يجب التفريق بين بعض المصطلحات المتعلقة بالرمادية الأخلاقية.

فالرمادية الأخلاقية هي عدم الحكم على العالم أو على الأشخاص أو أن يكلف الإنسان نفسه لإصلاح الكون أو تغيره، ويكون بين أمرين أحدهما خير والآخر شر.

و**الحيادية:** هي عدم اتخاذ موقف معين أو عدم الميل لأحد الأطراف، فيقف الإنسان الحيادي غير منحاز لأحد الطرفين (٢) فهو موقف خالي عن التقييم، مع البقاء على مسافة واحدة من جميع الأطراف، وغالبا ما يكون بين أمرين كلاهما خير أو كلاهما شر.

أما **الوسطية** فليس معناها كذلك الوقوف بسلبية وعدم اتخاذ موقف معين، ولكن معناها الاعتدال بين طرفين الإفراط والتفريط(٣)، وقد يكون معناها الأخير والأجود والأفضل(٤) كما في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }(٥) أي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢) .

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ ولا طبعة، ج١ ،ص ٢١١.

(٣) أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٤٧٨ .

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م، ص ٢٢.

(٥) سورة البقرة ١٤٣.

كاملين معتدلين، والوسطية بعكس الرمادية والحيادية ليست بها أي نوع من النقص، بل هي القمة العُليا والدرجة الأولي من الحكمة وهي خصلة محمودة لوقوعها بين طرفين الإفراط والتفريط، ولذلك يقال خير الأمور الوسط [١] ويقال الفضيلة وسط بين رذيلتين[٢]، ومن هنا فالإنسان الوسطي يأخذ موقف معتدل يتوسط رأيه فيه فلا يتطرف، ويكون أكثر اعتدلاً وأبعد عن الشطط [٣]، ومن هنا فصاحب الموقف الوسط يجب أن يكون متحيزاً على النقيض صاحب الموقف الحيادي والرمادي، فهو هنا إنسان عدلاً متحيزاً للصواب، إنساناً خيراً فاضلاً، بعكس الرمادية والحيادية والتي هي ترك الحكم أصلاً.

أما **الموضوعية** فهي الحكم الخالي عن أي تحيز خاص، وضدها اللاموضوعية بمعني تحيز شخص لفكرة معينة [٤]، فالإنسان الموضوعي يرى الأشياء على ما هي عليه في الواقع، دون أن يشوبها بنظره الضيق أو بتحيزه الخاص [٥] .

ومن هنا جاءت **الأخلاق الموضوعية** وهي تلك النظرية التي تقول إن العبارة الأخلاقية تكون موضوعية إذا فصلناها عن قائلها والمناسبة التي قالها فيها، سواء من الناحية الزمانية أو المكانية [٦]، وهي تختلف تماماً عن **الأخلاق الموضوعانية** التي تكلمت عنها آين راند، والتي كانت وظيفتها الأساسية توجيه خيارات الإنسان وأفعاله نحو أهدافه في الحياة، أعني أن الفاعل يجب أن يكون دائماً هو المستفيد الأول والأخير من أفعاله، فأي فعل خلقي يصدر منه هو فقط

(١) عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ط٣، ٢٠٠٠م،ص ٩٣٩ وما بعدها.
(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج٢ ص ٥٧٢.
(٣) معجم اللغة العربية المعاصر، ج٣، ص ٢٤٣٦.
(٤) معجم اللغة العربية المعاصر، ج٣، ص ٢٤٥٧.
(٥) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج٢، ص ٤٥٠.
(٦) عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٧٨٤.

من أجل مصلحته الشخصية، فهذه هي وظيفة القيم الأخلاقية في حياة الإنسان وهي لا تخرج عن أفكار فلسفتها الموضوعانية [١].

ومن كل ما سبق يتبين كيف أن الوسطية والاعتدال واختيار الخير والأفضل أمر محمود في الإسلام، بل هو ما يميز أمة الإسلام إنها أمةً وسطا، فالإنسان الوسطي صاحب رأي وفكر ومنحاز للخير والعدل، بخلاف الشخص الحيادي السلبي الذي ليس له رأي فيما يحدث حوله فهو غير منحاز لأي طرف، وذلك بخلاف الشخص الرمادي، فهو إنسان سلبي يعرف الصواب والخطأ، والفضيلة والرذيلة، ولكنه فضَل عدم التصريح برأيه واكتفي فقط بالمشاهدة في صمت غير عابئ بما قد يترتب على ذلك من مخاطر للفرد والمجتمع.
ومن هنا فيجب على كل مسلم أن يتحمل مسئوليته الأخلاقية أمام الله وأمام المجتمع ويأمر بالحسن والخير والصواب، وينهي عن القبح والظلم والخطأ، فالمسلم كالرقيب على المجتمع، لأنه أداه من أدوات تطبيق الجزاء على الفعل الخلقي في هذه الحياة، وليس من المفترض أن يكون حيادياً أو رمادياً، وهذا الباب يسمى في الإسلام بوجه عام باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما سأتكلم عنه بالتفصيل في المبحث القادم إن شاء الله.

١) آين راند، فضيلة الأنانية، ص ١٢ .

المبحث الرابع

دور الإسلام في مواجهة مذهب " الرمادية الأخلاقية "

بعد أن تبين من المبحث السابق رفض الإسلام لمذهب " الرمادية الأخلاقية " لأنه نوع من الهروب من المسئولية الخلقية تجاه المجتمع لأن بصلاح المجتمعات تصلح الأمم، يأتي دور هذا المبحث لبيان كيف واجه الإسلام بكل قوة هذا المذهب، وكيف حرص الإسلام على الدعوة إلى الخير والفضيلة والبُعد عن الشر والرذيلة، ولا يكتفي الإنسان بنفسه بل يجب أن يكون له موقف يُمثل فكره وأهدافه نابعاً من الإسلام نفسه، فعليه الدعوة إلى الخير وترك الشر، وهو ما يكاد يرادف معني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر وثيق الصلة بالعقيدة الإسلامية، فقد حُكِيَ عن المتكلمين اعتباره من جملة العقائد وأصول الدين، وهناك مباحث كاملة في الكتب المعتبرة في المذهب تتكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تكلم فيه غالب علماء الكلام وإن كان عندهم من الفروع، في الوقت الذي جعل المعتزلة الأصل الخامس من الأصول الخمسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما عن المقصود المعروف والمنكر:

فالمعروف يطلق ويراد به كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الخلق[١] ومن هنا سميت الطاعة معروفاً[٢] وهو عند المعتزلة كل فعل عرف فاعله حُسنه أو

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ه، ج٢، ص ٧٤٧ .
(٢) الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م ،ج٧، ص ١٠٥ .

دل عليه، والأمر بالمعروف هو أن يقول القائل لمن دونه في الرتبة أفعل[١]. والمنكر ضد المعروف[٢] وأصل المنكر ما أنكره الله وكان قبيحاً فعله، ولذلك سميت المعصية منكراً، لأن أهل الإيمان يستنكرون فعلها [٣] وعند المعتزلة كل فعل علم فاعله قبحه أو دل عليه، والنهي عن المنكر أن يقول القائل لمن دونه لا تفعل[٤].

وذلك يشمل الأفعال الخلقية وغيرها، بمعنى آخر كل ما هو مأموراً به أو مندوباً إليه، والأمر نفسه بالنسبة للنهي عن المنكر.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة والإجماع .

أولاً القرآن الكريم:

فقد قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٥] والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"[٦]، وقوله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}[٧] والمعنى خير الأمم وأنفعها للناس[٨] هي الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

---

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة، ص ١٤١ .
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٧١٦.
(٣) الإيجي، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٣، ص ١٠٠.
(٤) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٤١ .
(٥) سورة آل عمران ١٠٤
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،ج٢، ص ٦٣
(٧) سورة آل عمران ١١٠ .
(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،ج٢ ص ٩٤ .

فالله تعالى " يمدح هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"(١).

فالدعوة إلى الخير والنهي عن الشر بمنزلة التعليل لخيريتهم، وبالتالي ما كان فيه خير ينبغي أن يفرض عليهم إن لم يكن مفروضاً من قبل(٢).

ثانياً السنة النبوية:

وقد قال ﷺيَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (٣).

وقال ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (٤)

ثالثاً الإجماع:

وقد حكى الإجماع الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) عندما قال "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم" (٥)، وهو ما أكد عليه الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع

---

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ط١، ٢٠٠٠م، ص١٤٣.

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، ج٤، ص٤٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم (٤٩).

(٤) رواه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٢١٦٩) وهو حديث حسن .

(٥) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة، ج٤، ص١٣٢.

الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين لا يكترث بخلافهم في هذا فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء"[١]، وقال التفتازاني (ت ٧١٩هـ) " أما الإجماع فهو أن المسلمين في الصدر الأول وبعده كانوا يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع الاقتدار عليه"[٢]، وأكد المعتزلة على هذا الإجماع وقالوا: لا خلاف بين الأمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن من المنكر، ولم يخالف إلا شرذمة لا يعتد بكلامهم[٣] وقد أكد على أهميته ووجوبه كثير من العلماء فعندما سئل الإمام أبو حنيفة عن الفقه الأكبر قال: ألا تكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا تنفي أحداً من الإيمان، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[٤]، وقال الإمام الأشعري (ت٣٢٤هـ) في رسالته لأهل الثغر " وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأيديهم وألسنتهم إن استطاعوا، وإلا فبقلوبهم" [٥]، وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات" [٦]، وقال إبراهيم اللقاني(ت ١٠٤١هـ) في جوهرة التوحيد [٧]:

---

(١) أبو زكريا محيي الدين بن شر النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ١٣٩٢ه، ج٢، ص٢٢ .

(٢) التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ج٣، ص ٣٧٩ .

(٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٧٤١.

(٤) أبو حنيفة، الفقه الأكبر مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر، د. محمد عبدالرحمن الخميسي، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ط١، ١٩٩٩م، ص٧٦ وما بعدها.

(٥) الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١-١٩٨٨م، ص ٢٩٥، وينر مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمة رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط٢ - ٢٠١٣م، ص ١٠٨ .

(٦) الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ط٢ - ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٩٦.

(٧) إبراهيم حسن اللقاني، جوهرة التوحيد، شرح إبراهيم الباجوري، ط١٣٩١هـ، ص ٤٩ .

وَأَمُرْ بِعُرْفٍ وَاجْتَنِبْ نَمِيمَةْ .... وَغِيبَةً وَخَصْلَةً ذَمِيمَةْ

ومن قبلهم الصوفية لم يخالفوا فقد قال الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) حاكياً مذهبهم: "ويرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً لمن أمكنه، بما أمكنه، مع شفقة ورأفة ورفق ورحمة ولطف ولين من القول" [١].

حتى إن من العلماء مَنْ جعل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات الساعة، كالإمام القرطبي (ت ٦٧١هـ) عندما كان يشرح حديث (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله) فقال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم (الله) برفع الهاء ونصبها، فمن رفعها، فمعناه ذهاب التوحيد، ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتق الله)[٢].

ولكن وعلى الجانب الآخر نجد أن هناك من قال إن عمل الفعل الخلقي يجب أن يكون خالصاً لوجه الله، دون انتظار أمر من أحد أو نهي منه، أو حتى ثواب وعقاب من الله، كما هو الحال عند رابعة العدوية التي كانت تقول " ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً في جنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه"[٣]، وهو ما يعرف بالأخلاق الأريحية[٤] وهذا النوع من الأخلاق سار عليه بعض مفكرو الإسلام كالراغب الأصفهاني الذي كان يري أن الفعل الأخروي

---

(١) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٧.

(٢) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، تحقيق صادق محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ -١٤٣٥هـ، ص ١٣٥١.

(٣) محمد مصطفى حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م، ص٩٥، وأبو الوفا التفتازاني مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار القلم القاهرة ١٩٥٠، ص ١٠٢، وينظر عبد الحي محمد قابيل، المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة -١٩٨٤م، ص٣٧ .

(٤) عبد الحي قابيل، المذاهب الأخلاقية في الإسلام، ص ٣٧ .

يجب أن لا يُقصد إلا مكرمة، يعنى أن يكون ابتغاء مرضات الله، كما اشترط الراغب ألا يجلب منفعة أو يدفع مضرة دنياوية أو أخروية[١]، وهو شبيه بما قاله كانط في كتابه " نقد العقل المحض" الإنسان الذي يفعل الخير لأنه يطمع في الفردوس، أو يخاف من الجحيم، لم يعد فعله فعلاً خلقياً، وإنما فعل منفعة، لأنه يخضع للطمع والخوف[٢] ومن هنا فأتباع مذهب "الأخلاق الأريحية" رأوا أنه لا يجب أن يأمر أحد بفعل شيء أو ينهاه عن شيء طالما أنه من المفترض أن يفعله من نفسه حتى لا يكون فعله الخلقي خوفاً من الذم والعقاب، أو طلباً في المدح والثواب.

تعقيب: الحقيقة إنه لا يوجد أي تناقض في الالتزام بالأوامر والنواهي خوفاً من العقاب والذم، أو طلباً للمدح والثواب فقد قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[٣].

وقال تعالى {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا}[٤]، وبالتالي فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض لا يمكن الاستهانة به لصلاح المجتمع المسلم، وهو ما دفع العلماء للبحث عن **فضله وأهميته**، وكان مما توصلوا إليه:

أن الله تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات النبي ﷺ، حيث قال { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ}[٥] فإذا كان هذا من أخص أوصاف النبي فهو كذلك من أخص أوصاف أتباعه {وَالْمُؤْمِنَاتُ

(١) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مطبعة الوطن، القاهرة، بدون تاريخ ولا طبعة، ص٣٤.

(٢) إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي لبنان .

(٣) سورة الأنبياء ٩٠.

(٤) سورة الأعراف ٦٥.

(٥) سورة الأعراف ١٥٧.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}[١] ثم إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات المنافقين، { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} [٢].

ومما يؤكد على ذلك عندما كان يتكلم الله تعالى عن صفات المؤمنين كان من ضمنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[٣]، وعندما تكلم الله عن صفات المؤمنين الصادقين قال { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ}[٤] فمَنْ اتصف بهذه الأوصاف دخل معهم في المدح، ومَنْ تركها كان من أهل الذم .

بل إنها كانت وصية لقمان لأبنه { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [٥]، ولذلك قال عنه الإمام الغزالي إنه القطب الأعظم في الدين، والمهمة التي ابتعث الله لها النبيين، فلو أهُمل لتعطلت النبوة واستشرى الفساد [٦].

كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يدخل في شكر الله تعالى على نعمه علينا فقد قال ﷺ «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ

(١) سورة التوبة ٧١.
(٢) سورة التوبة ٦٧ .
(٣) سورة التوبة ١١٢ .
(٤) سورة الحج ٤١.
(٥) سورة لقمان ١٧ .
(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين ،دار المعرفة، بيروت، ج٢ ص ٣٠٦.

بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[(١)]، وأخيراً فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من الهلاك الذي سيحل بالظالمين فقد قال تعالى {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ – فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[(٢)]، بل هو سبب تفضيل هذه الأمم على غيرها من الأمم، والحقيقة إن أفضل ما قد يقوم به الإنسان في الحياة أن يصلح المجتمع ويكون سبباً في قيام شرع الله، ولا يتهرب وينتحل مذهب الرمادية الأخلاقية ويكون سلبي لا دور له في الحياة بل إنه يأثم بتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بعض الحالات كما سيتضح فيما بعد .

ولكن هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب مطلقاً أو أن هناك خلاف؟

الحقيقة إن الكل متفق على وجوبه في الجملة، فهو فرض كفاية لا فرض عين، بمعنى إنه إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لأن الغرض يحصل بذلك، وإن ظن كل طائفة أنه لم يقم به الآخر أثم الكل بتركه [(٣)].

أما تفصيلاً **فالأشاعرة** يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حُكمه تابع للمأمور به والمنهي عنه، وبالتالي يكون الأمر بالواجب واجباً، والمندوب مندوباً، والنهي عن الحرام واجباً وعن المكروه مندوباً [(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢٠).

(٢) سورة الأعراف ١٦٤ –١٦٥.

(٣) عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط١ ١٩٩٧م، ج٣، ص ٦٤٧، ٦٤٥، وينظر شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة، القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م، ص ٧٤١.

(٤) عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، ج٣، ص ٦٤٥.

بخلاف **المعتزلة** الذين يخالفون في المنكر، فالأمر بالمعروف يتبع كما هو الأمر عند الأشاعرة المأمور به فإذا كان واجباً كان الأمر به واجب، وإذا كان مندوباً كان الأمر به مندوباً، أما المناكير – سواء أكانت حرام أم مكروه – فالكل واحد في وجوب النهي عنه، لأن النهي عنها يجب لقبحها، والقبح ثابت في الجميع، ولا فرق في باب النهي عن المنكر من أن تكون أفعال القلوب أو أفعال الجوارح في إنه يجب النهي عنها، إذ النهي عنها وجب لقبحها والقبح يعمها [١]، فيجب إذا النهي في جميع المنكر عند استكمال الشرائط، وليس لقائل أن يقول إن المناكير منها ما يكون صغيره فكيف يلزم النهي عنها، لأنه ما من صغيرة إلا ويجوزها كبيرة، فالنهي عن المنكر إنما وجب لقبحه، والقبح ثابت في الصغيرة كالكبيرة [٢].

والفرق الثاني عند المعتزلة أن الأمر بالمعروف يكفي فيه مجرد الأمر ولا يلزم أن نحمل من تركه عليه، بخلاف النهي عن المنكر فإنه لا يكفي فيه مجرد النهي عند استكمال الشرائط [٣].

أما عن الشرائط التي وضعها المتكلمون ليكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهه الصحيح، وليؤدي الهدف المقصود منه وهي:

أولاً: أن يعلم أن المأمور به معروفاً وأن المنهي عنه منكراً، لأنه لو لم يعلم ذلك فقد يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف، ويجب أن يعلم كذلك إذا كان الواجب مضيق أو موسع، أو عين أو كفاية، وهكذا في المنهي عنه – بالنسبة للأشاعرة – لكي لا يُغلظ في موقع اللين، ويلين في موضع الشدة وذلك لا يجوز، وغلبة الظن في هذا الأمر لا تقوم مقام العلم .

---

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٧٤٥ وما بعدها.
(٢) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص١٤٦ .
(٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٧٤٤.

ثانياً: أن يعلم أن المنكرَ حاضراً، وغلبة الظن كذلك هنا لا تقوم مقام العلم.

ثالثاً: أن يعلم أن أمره أو نهيه لن يؤدي إلى مضرة أعظم، فلو علم أو غلب على ظنه أن فعله هذا يؤدي إلى مضره أكبر لا يجب عليه ولا يحسن فعله منه.

رابعاً: أن يعلم أو يغلب على ظنه أن لقوله تأثير، فلو لم يعلم ذلك ولم يغلب على ظنه لم يجب.

وإن كان الأشاعرة يرون أن في هذه الحالة من الأفضل أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إظهاراً لشعائر الإسلام، وإن رفض صاحب المقاصد كما رفض المعتزلة الأمر والنهي عندما يغلب على الظن أنه لن يؤثر لأنه وقتها قد لا يكون إعزازاً للدين وإنما إذلالاً له، ولكن الأفضل القيام به خروجاً من عهدة التكليف كما يرى متقدموا الأشاعرة .

خامساً: أن يعلم أو يغلب على ظنه أن أمره هذا لا يؤدي إلى مضره له في ماله ونفسه .

سادساً: عدم التجسس وتتبع عورات الناس لمعرفة هل هم ملتزمون بالمعروف ومنتهين عن المنكر(١).

تعقيب: ولا يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر العصمة عن الصغائر والكبائر، فالحقيقة إنه لا معصوم في الدنيا غير الأنبياء، فلا يجب أن يكون ورعاً لا يرتكب مثله، بل على من رأي منكراً وهو يرتكب مثله أن ينهي

---

(١) عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، الموقف السادس، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط١ ١٩٩٧م، ج٣، ص٦٤٥وما بعدها، وينظر التفتازاني، شرح المقاصد، ج٣، ص ٢٤٦ وما بعدها، وينظر القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة، ص ١٤٥ وما بعدها، و عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧م، ص ٦٩ وما بعدها.

عنه، لأن تركه للمنكر ونهيه عنه فرضان متميزان، ليس لمن ترك أحدهما ترك الآخر(١) ولو وضع هذا الشرط لكن خرقاً للإجماع(٢).

ومن الأمور التي اختلف فيها العلماء هل المعروف والمنكر يعرف بالشرع أو بالعقل ؟ حتى يتقرر حكم الأمر به أو النهي عنه، واختلفوا في ذلك على ثلاث اتجاهات :

الاتجاه الأول: يجعل حُسن الأشياء وقبحها يرجع إلى الله تعالى، بمعنى أن الأفعال في نفسها لا تحمل ما يشير إلى كونها خير أو شر، وإنما تصبح كذلك بالأمر والنهي الإلهي، ولو تغير الحكم الإلهي لتغير تبعاً الحكم عليها بالخيرية أو الشرية، فالخير والشر بقضاء الله وقدره (٣).

وهو ما أكد عليه أبو المعالي الجويني عندما قال " فالمعني بالحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله، والمراد بالقبيح ما ورد الشرع بالذم على فاعله " (٤)، وهو شبيه بما قاله الشهرستاني في" نهاية الإقدام"(٥).

الاتجاه الثاني: وهؤلاء يرون أن حُسن الأشياء في نفسها وقبحها يكمن في نفسها، كرد والأمانة وشكر المنعم وغيرها تكمن في أنها في نفسها حسنة،

---

(١) التفتازاني، شرح المقاصد، ج٣، ص ٣٨٠ .

(٢) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ –٢٠٠٤م، ص ١٢٤.

(٣) الإمام أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النهضة المصرية ١٩٥٠م، ص ٣٢٠ وما بعدها، وينظر محمد بن على الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق أحمد عزو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٩٩٩م، ص ٢٠٦ .

(٤) أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، ص ٢٥٨ .

(٥) الشهرستاني، نهاية الإقدام، تحقيق ألفرد جيوم، مكتبة المثني، بدون تاريخ ولا طبعة، ص ٣٧٠ وما بعدها.

وكذلك الكذب الخيانة والظلم والجبن هي قبيحة لأنها في ذاتها قبيحة [١]، وهو ما ذهب الإمام الرازي عندما قال إن الحسن حسن لوجوه راجعة إليه، والقبيح قبيح لوجوه راجعة إليه [٢] أما أبو على الجبائي فذهب إلى أن الأمر ليس كذلك على مطلقه، بل إن الحسن والقبيح يُعلم عقلاً وسمعاً، كما هو الأمر عند القاضي عبد الجبار الذي يرى أن المنكر على ضربين عقلي وشرعي، فالعقلية النهي عنها كلها واجب، أما الشرعية على ضربين كذلك، ما كان لا مجال للاجتهاد فيه فالنهي عنه واجب، بخلاف ما كان للاجتهاد فيه مجال، فعندها يُنظر في حال المقلد إن كان عنده حلال جاز له أن لا ينهي عنه، وإن كان عنده مما لا يجوز وجب عندها أن ينهى عنه [٣].

– وذهب أبو هاشم إلى أنه يُعلم سمعاً إلا في موضع واحد " وهو أن يشاهد واحداً يظلم غيره، فيلحق قلبه بذلك مضرة، فيلزم عندها النهي عن هذا المنكر دفعاً لتلك المضرة عن النفس " [٤].

الاتجاه الثالث: يمثل هذا الاتجاه متأخرو الأشاعرة كعضد الدين الإيجي، حيث قسم الأفعال إلى ثلاثة أنواع :

(١) النوع الأول يُحَسن ويُقبَّح بالنسبة إلى ما تضمنه من كمال ونقص، فالكمال العلم، والنقص جهل، وهذا يدرك بالعقل.

(٢) النوع الثاني وهو الذي الحُسن والقُبح فيه يعود إلى ملاءمته للغرض أو عدم ملاءمته له، فما يلائم الغرض فهو حسن، وما لا يلائمه فهو قبيح (كقتل

---

١) الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م، بدون طبعة، ج١، ص ٧٨ .

٢) فخر الرازي وآراؤه الكلامية، محمد صالح الزركان، بيروت ١٩٦٣م، ص ٥١٨م .

٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة، ص ١٤٧ .

٤) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٤٢.

شخص معين فهو بالنسبة لأعدائه أمر حسن، وقبيح بالنسبة لأهله) وهم خالفوا المعتزلة في ذلك بأن علقوا الحسن والقبح على أغراض الفعل وليس الفعل نفسه.

(٣) النوع الثالث هي تلك الأفعال التي يستحق عليها الفرد مدحاً وثواباً، وهو الذي ظل موضوع نزاع بين المعتزلة (حيث المعتزلة يرون أنه حسن يدرك بالعقل، ويثاب المرء عليه حتى ولو لم يرد فيه شرع، أما الأشاعرة فيقولون بأنه بذاته لا هو حسن ولا هو قبيح، ومن ثم فلا يستحق فعله ثواباً ولا مدحاً حتى ينزل به الشرع أمراً أو حظراً) (١).

تعقيب: وأعتقد أن الأصح هو الاتجاه الأول الذي جعل الأمر يرجع إلى الشرع المعصوم البعيد عن أغراض الفعل والأهواء الشخصية والعقول المتفاوتة في إدراك حسن الأشياء وقبحها، ولا خلاف كبير بين الاتجاه الثاني والثالث.

طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا فرق بين المعتزلة والأشاعرة في تقرير طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فالمعتزلة يرون أنه على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبدأ إنكاره بالسهل، فإن لم ينتهي يرتقي إلى الأصعب وهكذا، ويرى المعتزلة أن هذا الترتيب معروف سمعاً وعقلاً.

أما عقلاً: فلأن الأمر إذا أمكن تحصيله بالأسهل فلا يجوز العدول عنه إلى الأصعب .

وسمعاً: لقوله تعالى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ }(٢) ومن

(١) عضد الدين الإيجي، المواقف، ج٨، ص ١٨٣، وأحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١٠- ١٩٣٣م، ج ٣، ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) سورة الحجرات ٩ .

هنا فالأمر أولاً يكون بمحاولة إصلاح ذات البين، ثم بعد ذلك بما يليه [١]. أما **الأشاعرة** فيرون كذلك أن التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعني أنه يبدأ من الإنكار بالقلب ثم اللسان لمن أمكنه، وإن أمكنه فبيده، أما السيف فلا يجوز، حتى إن البعض قال يجوز أن يكون التغير باللسان والقلب أما اليد فلا [٢] فيجب إذن أن يتم التدرج في الأمر والنهي كما قال صاحب المواقف "وينبغي أن يحتسب برفق وسكون متدرجاً إلى الأغلظ فالأغلظ بحسب حال المنكر" [٣] .

وأخيراً الفرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحِسبة:

الحقيقة إنهما متفقان في العموم ولكن يختلف كلاً منهما عن الآخر في شيء عن الآخر، فالحسبة فهي "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن منكر إذا ظهر فعله" [٤] وتزيد الحسبة كذلك بأن المحتسب قد تكون له صلاحيات أخري، ولا يقوم بالحسبة أي أحد [٥]، بخلاف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر عام يشمل النصح والإرشاد يجوز لآحاد المسلمين- الذين توافرت بهم الشروط-، والأمر لا يقتصر فقط على حال تركه، وكذلك النهي عن المنكر لا يقتصر على حال فعله، بل هو دائم لحث الناس على الخير والحسن وتحذيرهم من الشر والقبيح، بأن يكون هناك دعوة دائمة لفعل الخير وترك الشر فهذا وجه زيادته عن الحسبة، وهنا تظهر أن العلاقة بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي العموم والخصوص الوجهي .

---

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٤١وما بعدها .

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٣٣٧ .

(٣) التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، المقصد السادس، ج٣، ص ٣٧٩.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ ولا طبعة، ص ٣٤٩ .

(٥) خالد عثمان السبت، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١- ١٩٩٥، ص ٣٣ وما بعدها.

ومن كل ما سبق يتبين لنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمحاربة الرمادية الأخلاقية أو الوقوف على الحياد من الحوادث التي تحدث حولنا من الأفراد في المجتمع.

وكيف إنه يجب على كل أحد استجمع الشرائط السابقة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، خاصة بعدما علم فرضيته الكفائية، ولا يعتمد أن غيره سيقوم به، فكلنا نعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ومحاسب على سكوته، فقد عوقب وعوتب الساكتين عن نصيحة أهل السبت كما فيه قوله تعالى {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ – فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [١]، وبالتالي وإذا حدث كل ذلك وقام كلاً منا بدوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالفوائد التي تعود على الإنسان نفسه وعلى المجتمع ككل لا تحصى، فتنزل عليه البركات، وترفع العقوبات، ويخرج الإنسان من عهدة التكليف الذي عليه وينجو من العذاب الذي سيلحق الظالمين عاجلاً أو آجلاً، ومن هنا فيجب على كل إنسان المساهمة في صيانة المجتمع وإصلاحه، وحينما يعجز الإنسان عن ذلك عليه أن يحاول أن ينكر المنكر بقلبه فالعمل القلبي يعتبر كذلك عملاً أخلاقياً لأن دون الإنكار هو القبول ثم الرضا ثم الاستحسان، بل قد يتطور الأمر بفعله ونشره، ومن هنا فعلى كل إنسان أن يتحمل مسئوليته أمام الله وأمام المجتمع ويبتعد عن الخنوع الميتافزيقي أو ما يسمي بالرمادية الأخلاقية ويكون له دور حقيقي وفاعل في المجتمع، ومن كل ما سبق يتبين كيف رفض الإسلام تماماً مذهب الرمادية الأخلاقية وكيف حاربه بكل قوة .

---

(١) سورة الأعراف ١٦٤ –١٦٥.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ...

فأحمد الله تعالى وأشكره أن وفقني لهذا البحث وأعانني على إتمامه، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، وأن يحوز على استحسان وقبول كل مَنْ قرأه وأطلع عليه.

وفي النهاية وقد بلغ البحث غايته، فلابد لي من وقفة أخيره استجمع فيها أبرز النتائج التي انتهيت إليها، وقد أسفر البحث عن الآتي:

١) الفيلسوفة آين راند أول من صاغ مصطلح " الرمادية الأخلاقية" في إطار حديثها عن فلسفتها الموضوعانية وما يتعلق بها من الأخلاق الموضوعانية، كل ذلك في مقابل الفلسفة الإيثارية.

٢) اهتمت آين راند في فلسفتها الموضوعانية بالإنسان كفرد، وجعلت مصلحته الشخصية هي الأساس الذي ينبغي أن يوجه علاقته مع الآخرين.

٣) أدعت آين راند أن الحقوق الفردية التي تدعو إليها وإن كانت حديثة في التاريخ البشري، إلا إنها موجودة في الفطرة منذ الولادة، وهو ما يسمى بقانون الهُوية، وحقوق الإنسان هي شرط تقتضيه طبيعته البشرية لتحقيق وجوده بشكل مناسب في هذه الحياة، وبالتالي فانتهاك حقوقه الفردية هو إجبار له على التصرف بما يخالف طبيعته وفطرته، فالواجب على الإنسان التصرف بما يحقق سعادته الفردية، وبما لا يضر المجتمع .

٤) تعرضت آين راند في حديثها عن الأخلاق الموضوعانية لمصطلح " الرمادية الأخلاقية" وعنت به قبول الواقع كما هو دون محاولة إصدار حكم خلقي

على ما يحدث أو محاولة تغيره، ورأت أن مَنْ يقبل بالواقع كما هو هم العجزة الفاقدين للمبادئ والمعايير والأهداف الخلقية .

٥) لا تناقض بين دعوة آين راند الإنسان الاهتمام بحقوقه الفردية، ودعوته لمحاولة إصلاح المجتمع حوله، فدعوته لحصوله على حقوقه الفردية لا ينافي اهتمامه بحصول الآخرين على حقوقهم وما فيه الخير والصلاح والنفع لهم، وهنا يظهر الفرق بين الفلسفة الموضوعانية والفلسفة البرجماتية، فالشخص البرجماتي يدافع عن مصلحته الشخصية حتى وإن تضرر الآخرين، كما أن البرجماتية تهتم بالواقع كما هو، بخلاف الموضوعانية التي تهتم بالواقع كما ينبغي أن يكون، لذلك رفضت آين راند الرمادية الأخلاقية، وكل محاولات الرضا والقبول بالواقع كما هو دون إصلاحه.

٦) الإسلام ينقسم إلى عقيدة وشريعة وأخلاق، وأي مذهب خلقي يتكون من ثلاث أركان رئيسة الإلزام والمسئولية والجزاء، والمسئولية نوعان مسئولية الإنسان تجاه نفسه، وتجاه المجتمع، وهذا النوع من المسئولية ما يجعل مذهب " الأخلاق الرمادية " مرفوض في الإسلام .

٧) رفض الإسلام أن يتوقف المسلم عن إصدار الأحكام الخلقية، بل عليه إصدار الأحكام الخلقية والسعي لإصلاح المجتمع، فمحاولة إرضاء جميع الأطراف فهو بالإضافة إلى كونه موافقة ضمنية على الخطأ والقبيح والظلم، هو طعنا في وجه الحق والخير والصواب.

٨) الشخص معتنق مذهب الرمادية الأخلاقية، شخص غير مأمون الجانب، شخص فرط في حق الله ومسئوليته تجاه المجتمع، وفضَّل الخنوع الميتافزيقي.

٩) إذا كانت الرمادية الأخلاقية هي التوقف عن إصدار الحكم الخلقي بين فعلين أحدهما حسن والآخر قبيح، فإن الحيادية هي عدم اتخاذ موقوف معين، مع

الوقوف على مسافة واحدة من طرفين كلاهما حسن أو كلاهما قبيح. وهما يختلفان عن الوسطية التي هي الاعتدال، فالإنسان الوسطي إنسان معتدل ومتحيز دائماً للحق والخير والصواب والعدل، فالوسطية هي القيمة العُليا والدرجة الأولى من الحكمة .

١٠) تختلف الرمادية الأخلاقية عن الموضوعية، فالإنسان الموضوعي هو صاحب الحكم المطلق الخالي عن أي تحيز، بخلاف الرمادي الذي لا يحكم أصلا.

١١) وتختلف الموضوعية عن الموضوعانية، لأن الموضوعانية التي هي توجيه خيارات الإنسان وأفعاله نحو أهدافه الخاصة في الحياة، أو هو الشخص الأناني كما وصفته آين راند.

١٢) لأجل كل ذلك حارب الإسلام مذهب " الرمادية الأخلاقية " فرفض هروب الإنسان من مسئوليته الخلقية تجاه المجتمع، لأن بصلاح المجتمعات تصلح الأمم، وكان ذلك عن طريق تقرير مبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الذي جعله المتكلمون من جملة العقائد وأصول الدين، وجعله المعتزلة أصل من أصولهم الخمسة .

١٣) ثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة والإجماع، وهو من الفروض الكفائية، ويتغير حكمه تبعاً للمأمور به والمنهي عنه عند أهل السنة، فالأمر بالواجب واجباً والمندوب مندوباً، والنهي عن الحرام واجباً وعن المكروه مندوباً، بخلاف المعتزلة الذين لم يفرقوا في النهي بين الحرام والمكروه لأن الكل قبيح عندهم .

١٤) اشترط العلماء شروطاً ليصح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يكن من ضمنها العصمة عن المعاصي، فالأنبياء فقط هم المعصومون من البشر،

وبالتالي يتعين على كل مَنْ توافرت فيه الشروط أن يأمر بالحق والخير والصواب، وينهي عن الظلم والخطأ والقبيح.

١٥) يختلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الحسبة بعض الاختلاف، فبينهما عموم وخصوص وجهي .

١٦) إذ قام كلٌ منا بدوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك مذهب الرمادية الأخلاقية سيعم الخير في المجتمع وتتنزل علينا البركات، وترفع العقوبات، وننجو من العذاب الذي سيحل بالظالمين عاجلاً أو آجلاً، وفي حاله عجز الإنسان عليه أن ينكر بقلبه وذلك أضعف الإيمان.

التوصيات: البحث في فلسفة آين راند الموضوعية، والأخلاق الموضوعانية مازال يحتاج إلى الكثير من الدراسات، فإذا كان هذا البحث تكلم فقط عن مصطلح "الأخلاق الرمادية" فمازالت هناك الكثير من المصطلحات عندها تحتاج إلى التحليل والنقد من وجه نظر الإسلام.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة النبوية.

- الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الإمام الدارمي، تحقيق مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط١، ٢٠١٥م.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم المسمى (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ ولا طبعة .

ثالثاً: المصادر العامة:

- ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- أبو الوفا التفتازاني مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار القلم، القاهرة، ١٩٥٠م.

- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النهضة المصرية ١٩٥٠م.
- أبو الحسن الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١-١٩٨٨م.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١٠- ١٩٣٣م.
- الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، المقصد السادس، بدون تاريخ ولا طبعة .
- الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مطبعة الوطن، القاهرة، بدون تاريخ ولا طبعة،
- الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ط٢ -١٤٠٧هـ.
- السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط٢٠٠٠م .
- الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م، بدون طبعة.
- الشهرستاني، نهاية الإقدام، تحقيق ألفرد جيوم، مكتبة المثني، بدون تاريخ ولا طبعة.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ -٢٠٠٤م.

- الغزالي، إحياء علوم الدين ،دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ ولا طبعة.
- القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، تحقيق صادق محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ -١٤٣٥ه.
- الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ ولا طبعة.
- إبراهيم حسن اللقاني، جوهرة التوحيد، شرح إبراهيم الباجوري، ط١٣٩١ه.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ ولا طبعة.
- إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الأخلاقي في الإسلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.
- إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي لبنان .
- أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلى عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٥٠م .
- أبو حنيفة، الفقه الأكبر مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر، د. محمد عبد الرحمن الخميسي، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ط١، ١٩٩٩م.
- أبو زكريا محيي الدين بن شر النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ -١٣٩٢هـ.
- أحمد الطيب الإمام الأكبر شيخ الأزهر، المختار من مقومات الإسلام، مكتبة الإيمان، ط١ ،٢٠٢٠م .

- أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م .
- آين راند، الرأسمالية المثل الأعلى المجهول، ترجمة المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ومؤسسة أطلس للأبحاث الاقتصادية، بدون تاريخ ولا طبعة.
- آين راند، فضيلة الأنانية، ترجمة حسان راجي ومحمد السويلمي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٢٢م .
- آين راند، من أجل مفكر جديد، ترجمة سمية حبتور، صفحة سبعة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط١.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م .
- خالد عثمان السبت، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١- ١٩٩٥.
- رشيد العلوي، الفلسفة بصيغة المؤنث، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.
- عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م.
- عبد الحي محمد قابيل، المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة -١٩٨٤م.
- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ط١، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧م.
- عبدالرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١٩٧٦م.

- عبدالرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، دار القلم، دمشق، ط٥ ١٩٩٩.
- عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ط٣، ٢٠٠٠م.
- عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، الموقف السادس، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط١ ١٩٩٧م.
- عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع- ليبيا، ط٥، ١٩٨٥م.
- فخر الرازي وآراؤه الكلامية، محمد صالح الزركان، بيروت ١٩٦٣م.
- محمد بن على الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق أحمد عزو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٩٩٩م.
- محمد عبدالستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط١ ١٩٨٢.
- محمد عبد الله دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية، تحقيق أحمد مصطفي فضيلة، دار القلم- الكويت، ٢٠٠٣م.
- محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠ ١٩٩٨م.
- وينر مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمة رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط٢ -٢٠١٣م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

https://www.ajnet.me/midan/intellect/philosophy/2018/7/4/%D8%A2%D9%8A%D9%86-%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%AF-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%AE%D8%AF%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B1

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	المبحث الأول: المقصود بالأخلاق الموضوعانية
٤	المبحث الثاني: مذهب "الرمادية الأخلاقية"
٥	المبحث الثالث: مذهب "الرمادية الأخلاقية" في ميزان الإسلام
٦	المبحث الرابع: دور الإسلام في مواجهة مذهب "الرمادية الأخلاقية"
٧	الخاتمة
٨	ثبت المصادر والمراجع
٩	فهرس الموضوعات